

عاملات الليل.. أمومة منقوصة



www.balagh.com

ماذا تفعل الأُمّهات اللواتي تضطرهنّ طروف الحياة إلى العمل في الليل بعيداً عن أطفالهنّ، أو اللواتي يعملن لإيمانهنّ بأنّ النجاح المهني، يوازي في أهميته الدور الأصلي للمرأة - الأم، كيف يتأنقمن مع حيا تهنّ وظروفيهنّ؟ وماذا عن علاقتهنّ بالبيت والعائلة؟

ثمة إحساس مشترك بالذنب لدى الأُمّهات اللواتي يعملن في مهن تحتاج إلى دوام ليلي، حيث يتضاعف شعورهنّ بالتقدير تجاه العائلة، وبأنهنّ لا يواكبون أطفالهنّ في أكثر الفترات التي يحتاجون فيها إلى الحضن الدافئ، ويفتقرون إلى متطلبات غالباً ما تكثُر عندما يسدل الليل ستاره. وكما يُحِرِّم الطفل من حنان والدته وحضنها ساعة يخلد للنوم، تُحرِّم هي كذلك من متعة الكثير من اللحظات الجميلة في حياة فلذة كبدتها. يحصل ذلك، على الرغم من أن بعض الأُمّهات العاملات في النهار، يحسدن الأُمّهات العاملات الليل، لمجرد أنّ الآخريات يمضين، في رأيهنّ، وقتاً أطول مع أطفالهنّ في يومياتهم الحالفة دائماً بكل جديد، لا يفوتهنّ نتيجة إبتعادهنّ لفترات طويلة. فماذا تقول الأُمّهات العاملات ليلاً عن أمومتهنّ.. النا قصة؟

عاشت فيوليت بلعة السنوات العشر الأوائل من عمرها المهني وهي عزباء، حيث إنها لم تكن تعرف مسؤوليات الأسرة. فيوليت صحفية في جريدة "النهار" اللبنانية، حيث تتولى رئاسة قسم الاقتصاد. تروي أنّها أنجبت طفلها الأوّل قبل الإلتزام المهني بالعمل الصافي اليومي. وتقول: "كنت على الدوام أتهرب من فرص كانت تأتيني للعمل في الصحف اليومية. لكن، عندما جاءتني فرصة العمل في جريدة "النهار"، وجدتُ أن من الضروري قبولها. وعندما التزمت بالمهنة، كنت أدرك تماماً متطلباتها. قبل هذا الإلتزام، كنت قد أنجبت طفلتي الأوّل الذي كان قد شبّ قليلاً، وتركته في رعاية والدتي". وتضيف: "مع إلتزامي بعملي الجديد، حملت بطفلتي الثاني. وقبل قبولي بفرصة عملي هذه، تناقشت مع زوجي في متطلبات العمل الصافي اليومي، ووضعته في الصورة كلياً. وشرحته له مدى اختلاف هذا العمل عن العمل الأسبوعي أو الشهري". وتقول: "لأنّ زوجي يحب عملي، ويدعمني لأتقدم وأتطور فيه، فقد كان مشجعاً لي ومحفزاً للقبول بهذه الفرصة". وعما إذا كانت قد تغييت عن عملها بعد الإنجاب لمدة 40 يوماً، كما كان ينص قانون العمل اللبناني، تقول: "لقد تم تعديل إجازة الأمومة في لبنان لتصبح 62 يوماً، وهو العمر المقبول لوضع الطفل في دار حضانة. فليس لكل الأمّهات الموظفات أمّهات متفرغات لرعاية أطفالهنّ". بعد هذه الإجابة، تشير فيوليت إلى أنّها تغييت عن العمل 12 يوماً فقط، وتضيف: "خلالها كنت أتابع العمل من المنزل، لأنّ قسم الاقتصاد حينها كان يعاني خللاً في المحررين. هكذا فقط لازمت طفلتي 12 يوماً وتركته عند والدتي مع طفلتي البكر". وإذا تؤكّد فيوليت شعورها الكبير "بالقصير" حيال طفلها الثاني، وأنّها لم تشبعه من حنانها، ولم ترضعه. إلا أنّ طفلها لا يعاتبها، لكنه يعرف تماماً واقعه، وأنّ تربيته كاملة قامت بها جدته. وتقول: "اليومأشعر بأني ظلمته، وهو كان يحتاج إليّ". لو لم تكن إجازة الأمومة ضرورية، لما اعترفت بها قوانين العمل كافة في العالم، ولما أعطاها العالم المتقدم حقها الكبير في أن تكون ستة أشهر أو حتى سنة". نسأل فيوليت، التي لا تعود إلى منزلها قبل التاسعة مساءً: هل تستيقن إلى أطفالك؟ فتقول: "نعم. وأعوّض عن هذا الشوق وعن غيابي بمتاعتهم عبر الهاتف، حيث أعرف كل شاردة وواردة تحصل في المنزل بعد عودتها من المدرسة. لكنني بالتأكيد أشتاق إلى متابعتهما عن قرب، وأرغب في تناول طعام الغداء معهما وتدریسهما، وهي المهمة الشاقة التي يقوم بها زوجي، ولاسيما أن ولدي لا يقدمان على أي مهمة من دون حضورهما عليها، والدرس يأتي في طليعة المهام التي يتهرّب منها الأطفال". نلفت نظر فيوليت إلى أنّ الأطفال البعيدين عن أمّهاتهم يحققون استقلالية أكبر من أولئك الذين يعيشون تحت رعايتها مباشرة. تجيب: "ربما تكون هذه النظرية صحيحة، لكن هذا ما لم يحدث مع ولدي".

تتذكرة فيوليت بلعة طفولة ابنها الثاني البالغ حالياً من العمر 11 عاماً، فهي كانت تراه فقط حين

توقفه ليذهب إلى المدرسة، وعندما تعود ليلاً يكون قد غطّ في النوم. وتقول: "حالياً أعود إلى المنزل وأرى شوقيهما إلى مجالستي والتحدث معي. لكنني أواطب كل صباح على إيقاظهما، ومتابعة شؤونهما قبل الذهاب إلى المدرسة. وكم أشتاق إلى مراقبتهما إلى المدرسة ومنها، ومتابعتهما مع المدرسين". بمصارحة سريعة مع الذات، تعترف فيوليت بلعة بأنّ "الأمومة تستحق كل الوقت".

عملها كمعدّة في برنامج "سيرة وانفتحت" في "تلفزيون المستقبل"، يفرض على غنى حليق أن تكون في غرفة الكونترول في الإستديو ليلة البث، الأمر الذي يستمر ما بين السابعة مساءً والواحدة ليلاً. لهذا، تقول غنى إنها في محطات كثيرة تحمل "عقدة ذنب"، ولاسيما "في ما يخص الرضاعة". وإذا تتحدث غنى عن تجربتها مع عمل الليل، تقول: "لقد تركت طفلتي" تباعاً، وعدتُ إلى العمل عندما كنا في عمر الأربعين، وموعد مغادرتي المنزل كان غالباً ما يتزامن مع موعد الرضاعة". وتضيف: "في إحدى المرات، صبرت لينتهي ابني من الرضاعة، لكنه أطالت. عندها لم يكن لديّ حل سوى سحب ثديي من فمه، وتركه في عهدة شقيقتي وهو يصرخ صراخاً عالياً ومراً. إنّه الجوع. تركته يبكي، وأنا بدوري رحتُ أبكي في طريفي إلى عملي". وتتابع: "على الرغم من أنني أعمل ليلة واحدة في الأسبوع حتى وقت متأخر، إلا أنّ طفلي" لم يتکيفاً مع ذلك، على الرغم من أنني أتركهما كان يبقوا هادفاً في غيابي، لكن طفلي منذ البداية تركي لها، كانت تواكب على البكاء منذ خروجي حتى عودتي، ولا تكف عن البكاء حتى أحضنها وأرضعها وأنام قربيها في السرير". وتشير غنى إلى أنّه "لا شك في أنّ هذا الواقع الذي يعيشه الأطفال، ينعكس سلباً على الأُم، ويؤدي إلى توترها الدائم خلال العمل". لكنها تلفت إلى أن "ما يخفف من حدة هذا التوتر، هو الإتصال الدائم بالمنزل. وفي حال سماع بكاء الطفل، فهذا التوتر يستمر على حاله أو يتضاعف". هل عمل المرأة ليلاً هو الأزمة؟ أم تكمن المشكلة في عملها بشكل دائم في ظل وجود الأطفال؟ تقول: "الأزمة الأكبر تكون خلال الليل، فأناأشعر بحاجة الطفل إلى والدته ليلاً أكثر من النهار. ربما هو يحتاج مع إنسداد الطلام إلى مزيد من الدفع، وإلى أن نروي له حكاية وغيرها من الأمور". وتضيف: "منذ بلغ ابني عمر الثالثة، وهو يشجعني على تلك العمل، ويفتي الأمر بأننا لسنا في حاجة إلى المال. حتى إنّه كان يقول لي: "لا تشتري لي شيئاً فقط أريدك بقربي". أما طفلي، فكانت تتساءل عن ضرورة المال وتسميه "المماري". وتتابع: "الآن صار طفلي واعيئن، وكل ما يقومان به لحظة وداعي هو أنهما يتنافسان حول من منهما سيقدرّلني القبلة الأخيرة. ومرحلة الوداع هذه لا أعرف كيف أتملص منها". وتشير حليق إلى أن "رعاية الأطفال من قبل الأهل في ظل غياب الأُم، أمر فيه بعض الأمان". وتقول: "بالنسبة إلىّ، لم أكن لأترك أطفالي برعايا مساعدة غريبة". وتضيف: "مع وجود أهلي بالقرب من أطفالى، إلا أننيأشعر بالألم الكبير، فكيف مع وجود إنسانة غريبة؟". وتقول: "حتى هذا التاريخ يكره ابني يوم الإثنين،

لأنني سأتركه في السابعة وأذهب إلى عملي". تعتذر غنى عن الذهاب إلى عملها، فقط عندما يكون أحد أطفالها ممباً بحرارة مرتفعة. وتمتنع لو تمكنت من الإعتذار عن الذهاب لأشهر، خلال طفولة ولديها الأولى، وتتمنى أيضاً لو أنها كانت "في دولة تضمن حقوق الأمومة كما تستحق"، مؤكدة أن "ما من أم تترك أبناءها إن لم تكن في حاجة مادية إلى عملها".

صادفة:

تعمل رنا قاسم مذيعة أخبار في "تلفزيون الجديد"، وهي أم لطفل في عمر سبعة أعوام ولرضيع في عمر سبعة أشهر. وبناء على هذه المعلومة، نسألها عما إذا كانت المباعدة بين الطفلين سببها العمل ليلاً، فتقول: "هي مصادفة، ولاحقاً اتبهنا أنا وزوجي إلى أن فارق الزمن بين طفل وآخر صار واسعاً، فكان قرار الإنجاب". وتضيف: "عندما أكون بصدد الولادة، أجمع إجازاتي السنوية لأضيفها إلى إجازة الأمومة، بحيث أكثر إلى جانب الطفل لأطول فترة ممكنة"، لافته إلى أن، "لزمت طفلي الثاني رامي لمدة أربعة أشهر بعد الولادة، والطفل الأول عمر لازمه لشهرين ونصف الشهر. وفي الحالتين أنا أعتبر هذه المدة قليلة، فالطفل يحتاج إلى والدته على الدوام حتى عمر السنة".

هل تشعرين بحاجة طفلك إليك عندما تتركيه ليلاً؟ تجيب: "بالتأكيد، ومنذ أسبوعين وجدت أن وقع غيابي صار أخف نسبياً من البدايات، حيث صار في إمكاني المكوث قربه حتى ينام، ومن ثم أغادر إلى العمل لأنركه برقة والده والمساعدة في المنزل". وتشير إلى أنه "عندما تمر الأشهر الأولى من عمر الطفل، تتمكن الأم في ما بعد من تنظيم وقته ووقتها بشكل أفضل". وتضيف: "أما الحال مع طفلي عمر، الذي هو في عمر سبع سنوات، فهي أنه يحتاج إلى في فترة ما بعد الظهر لأهتم به لدى عودته من المدرسة، سواء على صعيد الرعاية، أم الغذاء، وكذلك المساعدة في الدروس. لكن عملي بعد الظهر وحتى الليل، يحرمه ويحرمني في الوقت نفسه من القيام بهذا الواجب. إلا أن زوجي يقوم برعايته عوضاً عنّي".

هل تحاكمين نفسك على ما تقومين به؟ تجيب: "في بعض الأحيان نعم. أحياناً أتمكن من ملازمة طفلي عمر حتى الساعة الخامسة، قبل أن أتوجه إلى التلفزيون. وأحاسب نفسي لأنني دائماً أستعجله لتنهي الغداء، واللعب والدرس". وتلفت إلى أن "الوقت دائماً معي مضغوط، في حين يحتاج الطفل إلى الراحة في الوقت، ولاسيما خلال تناوله طعام الغداء". وتضيف: "أما فترة الليل، التي تستمر حتى ما بعد نشرة الحادية عشرة والنصف، فأسوأ ما فيها عندما يكون أحد الأطفال في حالة مرض. فالليل يحمل مفاجآت، والأم هي المسئول الأول والأخيرة في مثل تلك الحالات". وتتابع: "قبل أسبوعين، مرض طفلي الصغير، واضطررت إلى أخذة إلى الطبيب، وتأخرت قليلاً على الإلتحاق بعملي. خلال وجودي في العمل، لم أكن أدرى

كيف يمر الوقت، لكنه كان ثقلياً جداً". وتقول: "في حالات المرض، أخشى على نفسي من الوقوع في أي خطأ، لأنني أعجز عن التركيز الجيد، حيث أكون كأُم مقسمة نصفين أحدهما في العمل والآخر في المنزل".

- أزمة ضمير:

هل يكون الأطفال صحيحة الأُم التي تعمل ليلاً؟ تجيب بعد تمهل: "ليس بهذا القدر. فليس لي أن أجعل العلاقة بين عملي وأمومتي مسألة دراما تيكية. أشعر فقط بالنقض في الحنان والعاطفة عندما يستيقظ الأطفال ونحن بعيدون عنهم. وربّما هذا يقلقني، ويتعبني، أكثر مما يترك أثراً فيهم، لأنّهم بكل تأكيد سيجدون من يرعاهم في ظل غيابي. وعادة ما أقوم بكل واجبات اليوم المطلوبة مني كأم وربة منزل، ثمّ أغادر إلى عملي. لهذا، أكون في غاية الإرهاق مساءً أو حتى خلال ذهابي إلى العمل".

ماذا يقول لك عمر عندما تغادرين العمل بعد الظهر؟ تجيب رنا: "عمر دائمًا يردد: "الآن أنت ذاهبة إلى العمل"؟ مع العلم أنّه صار يربط بين العلم والعمل لاحقاً، ويعي ضرورة العمل لتأمين متطلبات العيش". وتقول: "لقد صار على قناعة بهذا المبدأ الحيادي، وبات يربط الأمور بعضها بالآخر، ولاسيما عندما تكون لديه متطلبات. لكن، في كثير من الأحيان تغلبه طفولته وأنا نيتها لجهة الإستئثار بوالدته. ولأنني لا أعمل يومياً في فترتي بعد الظهر الليل، أحاول التعمويض عليه بالإهتمام والنزهة واللعب". وتضيف: "بصراحة، ابني عمر يطالبني بالذهاب إلى العمل بعد نومه ليلاً وليس بعد الظهر، وهذا دليل حاجته إلى" بعد الظهر. ولا شك في أن أزمة الضمير تلازم الأُم، وهي لا ترضى عن عطائهما لأولادها، سواء تركتهما خلال النهار أو الليل. والأُم التي تعمل بدوامات عمل مماثلة عليها أن تتمكن أطفالها من تحقيق إستقلاليتهم بعيداً عنها". وتقول: "المرأة ناضلت واجتهدت، لتدفع المجتمع إلى أن يتعامل معها على قدم المساواة مع الرجل، بغض النظر عن أمومتها. نحن نطالب بالمساواة الإنسانية بين المرأة والرجل، لكن في الحياة الاجتماعية، لدى المرأة مسؤوليات أكبر من الرجل على صعيد الأسرة، حتى إن كان زوجها مسانداً بنسبة مئة في المئة". وتشير إلى أنّه "لهذا، يكون هناك نسيان أو تجاهل للأمومة في كثير من الأحيان".

- تأ قلم:

الطبيبة النسائية الدكتورة رولا دعيوب مزهر أُم لثلاثة أطفال، ومن المعروف أنها محكومة بالولادات التي تختار توقيتها بعيداً عن رغبة الطبيب ورغبة الأُم أحياناً. تخطف الدكتورة مزهر مرحلة الأمومة

الأولى، وكثير أطفالها، لكنها لا تزال تصف تلك المرحلة بـ"الصعبية"، وتقول: "لقد كنت محظوظة بمساعدة الأهل، كما أن زوجي كان شديد التفهم. ولا شك في أن كل أم تعمل خارج منزلها، تشعر بالتقدير حيال أطفالها. أمّا الأعباء، فتقع عليها، لأنّها بلا شك تصاب بالإرهاق الجسدي، وتبقي عقدة الذنب مرافقة لها".

عندما نسألها أن تتذكر ولادة متغيرة استغرقت وقتاً طويلاًً أبعدتها عن أطفالها ليلاً، تشير د. دعبور إلى أن "ما هو أصعب وهو فترات المناوبات التي تستلزم الدوام النهاري والليلي المتواصل في المستشفى لمدة 36 ساعة"، لافتة إلى أن "هذا ما شكلَ الوقت الأكثر قسوة في حياة أطفالي". وتضيف: "خلال تلك المناوبات، كنت أترك طفلي وقتاً طويلاًً. لكنه كان يجد الرعاية من الأهل، ومن زوجي كونه طبيب أطفال. وهذا بالطبع شكل عاماً مساعداً في أمومتي مع أطالي الثلاثة". وتتذكر أنة كانت تعود إلى البيت منهكة، لأن "الدوام الطويل المتواصل في المستشفى يستدعي عدم النوم". وتكشف د. دعبور أنها، في الطفولة الأولى لأبنائها الثلاثة، كثيراً ما كانت تسمع منهم تосلات على شاكلة: "إلا يخليلك لا تذهبني. أبقي معنا". وتضيف: "مع الوقت، يتأقلم الطفل مع موجبات عمل الأم، ويتفهم وإن على مضض. لكن من دون شك، في كل مرة تواجه الأم هذا الموقف، تشعر وكأنّها تركت قسماً من قلبها مع أطفالها، لكنها في الوقت نفسه تكون مجبرة على تلبية متطلبات عملها. فكل منا يختار مهنته وعليه أن يكون في خدمتها. ومن يحب مهنته يساعد إلا في تسهيل الأمور". وبما أنّها هي وزوجها، طبيب الأطفال، يدعوان إلى الرضاعة الطبيعية، نسألها كيف تدبرت أمرها في هذا الخصوص؟ فتجيب: "عندما أنجبت طفلي الأولين، كنت أتابع التخصص في الطب النسائي، وكانت أداؤم 24 ساعة متواصلة في المستشفى. ولهذا، كان زوجي يأتي بالطفل إلى المستشفى لأرضعه، وفي الوقت نفسه يحمل معه الحليب الذي أكون قد سحبته من ثديي. لهذا، كان زوجي بمثابة الأم ليلياً؟ تقول: "الطفل يضحي طبعاً، لكنه يتأقلم. والأم تضحي وتتأثر لأنّها تشعر بالتقدير تجاه طفل هي كانت سبباً في الإيتان به إلى الحياة". وتضيف: "أطفالى تأقلموا مع وضعنا كوالدين طبيبين. وهم كثيراً ما يستيقظون ليلاً على مريض يطرق بابنا في المنطقة التي نعيش فيها، وهم يتقبلون ذلك بحب".

- طيبة خاطر:

وحدها الممرضة سونيا حسين، اختارت الدوام الليلي في المستشفى الذي تعمل فيه بـ"طيبة خاطر" كما تقول، لافتة إلى أنّها تواظب على هذا الدوام منذ 13 عاماً. إلا أنّ هذا الزمن لم يكن عملاً ليلياً وحسب، بل خلاله أنجبت سونيا أربعة أطفال ذكور سبقتهم بنت. ابنتهما الكبرى الآن في عمر 14 عاماً، وأصغر أطفالها في عمر السنطين ونصف السنة. سونيا اختارت بنفسها الدوام الليلي، الذي يبدأ في

السادسة مساءً وينتهي في السابعة صباحاً، حيث مقابل كل ثلاثة ليالي عمل، هناك ثلاثة أيام متواصلة عطلة". وفي هذا الدوام، وجدت سونيا نفسها أكثر راحة في رعاية أطفالها خلال النهار، عندما يكون والدهم في العمل، حتى وإن كانت في أكثر الأيام تحتاج إلى النوم". وتقول: "لقد اخترت هذا الدوام لأنّه يمكنني من التنسيق مع زوجي في رعاية الأطفال. فعندما أصل إلى منزلي، أنهي واجباتي وأحضر الطعام وأخلد إلى النوم قليلاً". وتتابع: "أنا مطمئنة على أولادي في هذا الدوام، لأنّهم في الثامنة مساءً يخلدون إلى النوم. في حين أنّ الدوام النهاري كان سيحرمني رؤيتهم". وتلفت إلى أنّه "في فترات غيا بي ليلاً، كان زوجي خير راع لأبنائي حتى في طفولتهم مع بعض المساعدة من والدتي".

إجارات الأمومة سونيا كانت تمتد في الحد الأقصى إلى ثلاثة أشهر، تعود بعدها إلى العمل، حيث تقول في هذا الإطار: "لقد أرضعت أبنائي كافة. وعندما كان يحين موعد عودتي إلى العمل، كنت أبدأ بتعويذ الطفل تدريجياً على الرضاعة الاصطناعية إلى أنّ أعود وأرضعه حليبي". لا تنكر سونياً أنّ أبناءها كانوا يتعلّقون بها لحظة خروجها من المنزل، وأنّهم كانوا جميعهم يرددون: "ابقي معنا"، ولاسيما عندما يبدأ التوقيت الشتوي، حيث تحل العتمة باكراً. وهي تقول عن تلك الأيام: "من المؤكد أنني كنت أغادر منزلي وقلبي ينفطر. وكانت جميعهم يرددون: "ماما نحن لا نريد المال، نريدك أن تبقي معنا". تشعر سونياً بـ"عذاب الضمير" عندما يمرض أحد أطفالها. لكنها تخلص إلى الإستنتاج الذي يقول إنّ "الحياة يلزمها كفاح ليستمر الإنسان في خدمة نفسه وعائلته". وتشير إلى أنّ "الأُم العاملة تُقصر أحياناً، لكن الحياة لها متطلباتها". تفرح سونياً حسين عندما تحدثها صديقاتها في ألمانيا وكندا عن إجازة الأمومة المدفوعة لسنة كاملة، وتقول: "هذا سيبقى بمثابة حلم للأمّهات اللبنانيات، لكن إن لم يكن ما تريده، أرد ما يكون".